استطلاع ثقافي

الفيسبوك.. العالم الذي اخترناه

مرجل الثورات في عصر السماوات المفتوحة

لا شك في أن عالم الانترنت مثير للدهشة وخاصة من خلال نافذة (فيس بوك) لم يكن ثورة في عالم الاتصالات وبناء الجسور الاجتماعية العابرة للقارات والرابطة بين مختلف أجناس البشر فقط، وإنما كان أداة سحرية ليس لها مثيل في صناعة القيم والمفاهيم الجديدة، قام هذا الثائر التكنولوجي المنبثق من شرايين الانترنت بقيادة العديد من الشعوب الحرة لإسقاط الأنظمة الديكتاتورية مثلما حصل في تونس ومصر، كما قام بزعزعة الكثير من العروش المتسلطة في العديد من الدول، لذلك فان (فيس بوك) يعد بجدارة احد الزعماء والأبطال الثقافيين المعاصرين، بسبب ما يمتلكه من قدرات لا متناهية في صناعة الخرائط الثقافية وبثها إلى أنحاء العالم على جناح الضوء.

حاولنا من خلال هذا الاستطلاع ان نستلخص آراء الادباء بشأن – هذا الثائر الصامت – الذي يتمتع بقدرات خارقة ومثيرة في قلب موازين واستبدلها بقوانين قابلة للتغيير ايضا فهو يعلن للملأ ان لاشيء بعد الان يعد ثابتا،مادامت هناك علاقات شبه افتراضية ان صح التعبير.

استطلاع/ محمود النمر

حنون مجيد

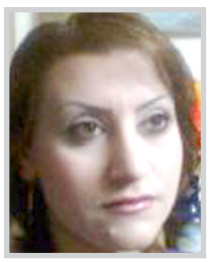
ازهار علي حسين

احمد عبد السادة

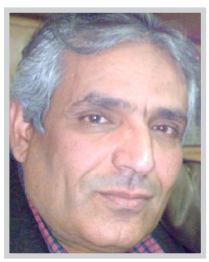
كاظم مرشد

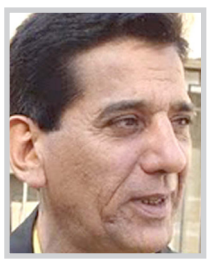
صلاح زنكنة

ردم الهوة العظيمة

الروائي حنون مجيد يرى انه ربما ينطوي على جانب يؤدي إلى تسطيح الوعي ووقفه على ثقافة واحدة لا تحدد هوية عميقة حيث يقول:

يتطلب اجابة موضوعية تأخذ بنظر الاعتبار ان الفيسبوك هو احد ابرز اوجه ثورة المعلومات، سواء ما يتعلق منها بالجانب التقني ام الجوانب الاخرى التي تتحدد غالبا بالنشاط الانساني المتعدد المقاصد والغايات ،ولانه غربي المنشأ ومرتبط بمشاريع عليا تحددها وترسمها عقول غالبا ما تكون جبارة في صنع آليات المنفعة تصبح وسيلة الافادة من هذا المشروع اشبه بسلاح ذي حدين مرهفين والمشكلة ان كليهما يشدك إليه وفي هذا يكمن نوع من الخطر يوجب بالمقابل نوعا من الحذر فلقد ردم الفيسبوك الهوة العظيمة التي كانت قائمة بين المسافات ومنحنا القدرة الفائقة على الاتصال بما نريد ومن نريد وفي سرعة هي كلمح في البصرما جعلنا نمسك باشياء كانت الى حين قريب بعيدة جدا عنا ،وهذا انجاز كبير على مستوى التقدم نحو وحدة بشرية في كثير من وجوه المعرفة الانسانية وسبل التلاقح في مضامينها ...من جانب آخر قد يؤدي الانغمار في استخدام هذا المنجز كوسيلة معرفية غير كافية الى تسطيح الوعي ووقفه على ثقافة واحدة او مجموعة ثقافات لا تحدد هوية عميقة وهذا ما يمكن ان يكون ضمن مخططات دفينة قد لا تكون مرئية ولا سيما على الفئات العمرية الحديثة التي تنصرف بفعل عدم نضوج الوعي الى الاهتمامات السريعة والسهلة والمتيسرة ...على الصعيد الشخصي قد لا اكون افدت منه الكثير سوى انني اشاهد الان وألمس التقدم العلمي يهدم جدراننا العالية فاقول في الوقت نفسه الى اين فالحد المرهف يقترب من عنقي.

فيما أشار الشاعر أحمد عبد السادة إلى ان عالم "فيس بوك" هي للكثير من الناس نافذة تواصل أخرى أضيفت إلى نوافذ التكنولوجيا الكثيرة التي فتحت سابقاً، ولكن، انها نافذة أخرى أكثر قرباً، نافذة أكثر حميمية وأكثر تفاعلاً من سابقاتها كونها تقدم الشخص للجميع على انه صاحب خلفية أكثر وضوحا، فهو يستعرض للجميع موضوعاته وتعليقاته وأمنياته وتهانيه وأيضاً دعوته وصيحته لتغيير أكثر نفعاً، مثلما حدث في الفترات الأخيرة بالدعوة للثورات أو التظاهرات.

ما أضافه فيس بوك للمثقف بالطبع هو ما أضافه لأي إنسان مع زيادة التفاعل مع إنتاجه ونصوصه لجعلها نصوصاً قابلة للنقد المباشر والمؤجل أيضاً والآراء الشخصية.

مساحات واشتغالات أخرى

القاصة أزهار علي تقول :منذ سنوات طويلة تعرفت على العالم الالكتروني ودخلته بشغف كقارئة نهمة وصوت كفراشة أدور بهدوء جميل من موقع لآخر، أحصل أحياناً على أصدقاء لطفاء وأتعرف على شخصيات أدبية ألطف مع الوقت أضفت نفسي كمثقفة حصيلة ممتعة غير إني بالصدفة تعرفت إلى صديق من الجزائر اخذ بيدي للانتماء الى عالم الفيس بوك ارتبكت لأني لم أعرف فحوى هذا العالم الذي يغص بالكتّاب والأدباء والسياسيين والعراقيين المغتربين، أصدقاء خانتني ذاكرتي فنسيتهم غير أن وجودهم في الفيس بوك انعش ذاكرتي الغافية فصرت أتواجد قدر ما استطعت لأن اقرأ رابطاً أدبياً وفكرياً وارى صوراً شخصية لحياة أصدقاء كنت أجهلهم ولأني كأغلب العراقيين احتفي بمعارفي أصبحت أضيف يومياً إلى نفسي ملومة جميلة عكس الذين يدخلون هذا العالم لسد الفراغ وفرصة لإضاعة الوقت أو قتله!

أضفت إلى ذائقتي الفنية فنانين جدداً من بلدان عدة أصبحت انشر أكثر واقرأ أكثر أصبح مسائي مساحات اشتغالات أخرى بدل تمضية الوقت على التلفاز أكتب على غير هدى بين القنوات تركت عالم التجول الممل بين قنوات عربية لا تعرف ما تقدمه كل يوم أو أن لم أكن نشطة كل أسبوع لي رأي في هذا العالم حولي صرت اعرف ان التنوع الفكري الذي احمله ليس سبباً بأن أكون منزوية ولا أمارس إلا بعضاً مما أحب الفن، الأدب ،الإعلام،العلاقات الجديدة، سماع الموسيقى، رؤية مقاطع الفيديو ونشر الصور الفوتوغرافية هذا الفن الجميل الذي اعشقه، إضافة لي أن أكون سعيدة بما امتلكه من حصيل معرفي يتجدد كلما دخلت بكبسة زر يفتح عالماً أفضل.

الشاعرة سمرقند الجابري ترى إنه كان بمثابة شرارة الانتفاضات العربية الاولى مضيفة: لقد أصبح موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك" عالماً فسيحاً يمثل قرية إلكترونية فمن خلاله ما عادت المساحات الشاسعة تمنعنا من التواصل والتحاور مع مثقفين وإعلاميين وفنانين.

أنا أجد نفسي عندما اجلس أمام ألنت كأني مسافر في عوالم متعددة، كما انه وسيلة مهمة للكتابة ما يجول داخل أنفسنا والتعبير عنها بشكل نصوص قصيرة وسريعة. وما حصل من تغييرات في أنظمة الحكم العربية مؤخراً يعود إلى فضل فيس بوك، فهو الشرارة الأولى التي انطلقت من خلالها التظاهرات التي تطالب بالتغيير.

فيس بوك فسحة جميلة في عالم فسيح.

آفاق للتواصل الإنساني

الناقد السينمائي كاظم مرشد السلوم قال: بالتأكيد إن هذا الموقع المهم قد فتح آفاقاً جديدة للتواصل الإنساني والاجتماعي والثقافي أيضاً، فضلاً عن انه خلق تواصلاً وتواشجاً مع أصدقاء قد غادرونا منذ سنوات طوال وغابوا في محطات المنافي، فكم كنت سعيداً أن أتحدث أو اكتشف احدهم في مكان ناء من عالمنا المليء بالفواجع والغيابات. فكأن فيس بوك عاملاً في لملمة أشلائنا المتناثرة في كل بقاع الدنيا. شكراً لكل الذين ساهموا في بناء هذه المواقع الإنسانية الرائعة وشكراً لكل الشباب الذين استطاعوا ان يستخدموا هذه الوسيلة لخلق حالة من النزعة الثورية التي قادتهم إلى الخلاص من دكتاتوريات مقيدة.

وتوقع الشاعر هادي الناصر ان يبقى الموقع الاجتماعي (الفيس بوك) أسوة بباقي المواقع الأخرى نافذة للتواصل مع الآخر، لكن ما غير هذا الموقع ان عددا من مستخدميه يفوق بكثير مستخدمي تلك المواقع مجتمعة، وفي الجانب الثقافي أفادني هذا الموقع كثيراً، فقد استطعت من خلاله إيصال منجزي الشعري والإعلامي إلى اكبر عدد من القراء، والعكس صحيح، فقد منحني فرصة الاطلاع على منجز الآخرين، وعرفني على عدد كبير منهم شخصياً، حيث أصبحت امتلك أصدقاء جددا اغلبهم أدباء ومثقفون وفنانون وإعلاميون. أيضاً هناك ميزة مهمة في هذا الموقع وهي سهولة استخدامه حيث لا تحتاج سوى دقائق معدودة لإيصال كل ما تريد إيصاله من نتاج أدبي ونشره على صفحتي الشخصية أو صفحات الأصدقاء.

الشاعر عدنان الفضلي قال : حينما ادخل الى الصفحة الشخصية، يطالعني عالم حميمي مذهل... فأجد صديقا يبعث لي خبراً.. أو صورة أو ملفاً نشر في مكان ما. أحس إنني أؤدي واجباً مهماً.

فالصفحة الرئيسة التي امارسها كل يوم تختصر الكثير من المسافات.. والخبر الذي كان يتطلب نشره الكثير من العمليات الالكترونية، في هذا العالم الجميل (الفيس بوك) هناك اختصار كبير في إيصال المعلومة او الاستفسار عن أمر ما فضلاً عن كونه صفحة تثبتها أنت ناشراً فيها ما تود نشره او كتابة ما تريد.

ولكن مأخذي على ما يحدث أحيانا من قبل محدودي الثقافة.. في نشر تفاهات (لاأجد فيها إلا الندم على إشغالها مساحات من صفحات هذا العالم الرائع. الذي يحب أن يستخدم بشكل حضاري الكبير.

هو الذي حرك مرجل الثورات

الروائي محمد علوان جبر بيّن ان الفيس بوك قد اختصر المسافات وحطم الحواجز، وجعل من العالم الكبير زقاقاً صغيراً ومن بركات (فيس بوك) إنه حرك مرجل الثورات وحفز الشعوب على استعادة إرادته وإسقاط الحكومات، وهو اكبر نافذة للتواصل واخطر وسيلة للتحدي، وبفضله استطعنا ان ندخل التاريخ من أوسع أبوابه واقصد باب التقنيات الحديثة. الفيس بوك عالم زاخر بكل شيء، واهم شيء هو هذا التواصل الإنساني والحضاري الذي زحزح الثوابت المقيتة والتابوات الهرمة.

وتحدث القاص صلاح زنكنة قائلا: إن وسائل الاتصال الحديثة وبالذات قنوات التواصل الاجتماعي ومنها الموقع الاجتماعي الواسع التأثير (فيس بوك) قد لعب دوراً متميزاً في إقامة أواصر حديثة ونوعية ما جعل هذا الموقع يشكل الصدارة في اهتمامات الأفراد ولاسيما المثقفين منهم إذ يمكن للمثقف ان يتواصل على نحو فريد وجاذب بزميله المثقف الآخر سواء أكان عراقياً او عربياً او حتى عالمياً، فهو فسحة اتصالية عالية وسريعة لخزن المعلومات والاحتفاظ بها ،وبواسطته يمكننا معرفة النتاج والنشاط الثقافي والمعرفي والاجتماعي على نحو عام.

أما سيف الدين كاطع فقال : ان "فيس بوك" .. علاقة حميمة يمنحك صديقا متخيلا تتحكم شيئاً ما في طريقة استقباله لك، أي انك تتمكن ان تقدم له روحك مشفوعة بكثير من أدلة المعنى (صورة إشارة، حركة، وغير ذلك) إنه لسان حديث جدا يحتاج إلى وعي استباقي عال في تصدير أفكاره أي إنني أريد أن أقول بوضوح (لنا جميعا مئات الأصدقاء على فيس بوك ولكن من منهم يتمنى ان يكون موجودا حين نفتح صفحتنا؟!) الذي نتمناه هو النجاح في ترسيخ الاسم عبر هذه (السبورة الالكترونية) الراسخة – حديثا وفي لسانه التعبير الإنساني .. فيس بوك لغة مضافة للغة... تعبير عال عن الحضور.. هو عدد الغياب بدليل ان النائم غير موجود في فيس بوك ، هوتحريض مستمر على الانفعال لأن الانفعال هو قيمة الذائقة .. ونحن نعرف من خلال ذائقتنا ..

دراسة نصّ

من مسرحية الملك لير

صلاح نيازي

حَرَمَ الملك لير ابنته كورديليا من إرثها الطبيعي، حين وزّع مملكته بين بناته الثلاث، لأنها عبّرتْ له عن حبّها بكلمات قليلة. يبدو أن الصدق لا يمكن التعبير عنه إلا بكلمات قليلة. استزاد منها ولكنها لم تزدْ، فتنكر لها.

تزوجت كورديليا، رغم خلوّ يدها، مَن ملكِ فرنسا واغتربتْ. أختاها اللتان أغدق لير على كلّ واحدة منهما ثلث المملكة، خذلتاه. أذلّتاه. تنافستا إلى حدّ السمّ بينهما، على حبّ أدموند الشرير وهما متزوجتان.

حاولت كورديليا عن طريق القوات الفرنسية، إعادة والدها إلى العرش. اندحرت الحملة ووقعتْ أسيرة، وأُلقِيَ القبض على والدها الذي كان مختبئاً.

النصّ الذي اخترناه أدناه يتحدّث عن هذا اللقاء الفريد بين الملك وكورديليا. لم يلتقيا منذ أن حرمها مِن الإرث، ناكراً عليها حتى صلة الرحم بينهما.

أودعتْ كورديليا السجن مع والدها.(أمر أدموند برسالة خطية سرية بإعدامهما، وهما لا يدريان).

السجن!

مَنْ كان يظنّ أنّ السجن جنّة نزلت من السماء على لير بالذات. يلتقي بكورديليا لأول مرة، يختلي بها لأوّل مرة، ويكفر عن خطاياه.

في هذا السجن تكشفتْ طبقات عاطفية أبوية مندثرة. ظهرتْ من باطن العقل لغة مطمورة تنتسب إلى الطفولة وانبهاراتها البريئة. ولأوّل مرّة تلتقي لغة الأرضين بلغة السماوات.

حاولت كورديليا قبل أن يدخلا السجن تلطيف الجوّ المشحون. قالت:

"لَسْنا أوّل مَنْ جلبا على نفسيهما
أسوأ العواقب مع أفضل المزايا
من أجلك أيها الملك المقهور
قهرتني ربّة الحظّ في المعركة
وإلا لبذلتُ بتقطيبي، تقطيبها الغادر
هل لنا أن نقابل هاتيْن الابنتيْن، هاتيْن الاختين"؟

حاولتْ كورديليا بقولها : "لسنا أوّل مَنْ جلبا" أن تهوّن الأمر، أوّلاً ربما إشارة إلى الرسالة الأولى من بطرس:١-١٩ "بل بالدم الكريم، دم المسيح، حمل الفداء الذي بلا لوم ولا عيب". وكأن الأمر مقدّر عليهما، وثانياً لأنّ ما حدث لهما شئ عام، لم يخصّهما وحدَهما، وإلا لكانت المصيبة أعظم. الشئ بالشئ يذكر؛ هذا شبيه بما شعرت به الخنساء : "ولولا كثرة الباكين حولي".

يعتقد بعض النقاد أنّ كورديليا إنما اقترحتْ لقاء أختيها لدفع الأمور بالتي هي أحسن.

ولكنْ ما أن سمع لير عن لقاء ابنتيه حتى انتفض بكلمة: "لا"، وكررها أربع مرات وكأنها طرق مطرقة لمَنْ لم يسمع:

لا، لا، لا، لا، تعالي لنذهب للسجن
وحيديْن سنغنّي مثل طيور في قفص
وحين تطلبين مني أن أباركك، سأركع
وأطلبُ منك المغفرة، هكذا سنَحيا،
ونصلّي، ونَغنّي، ونروي حكايات الدهور السالفة،
ونضحك مع حاشية الملك الزاهين مثل الفراشات،
ونسمع
الأشقياءَ المساكين يتحدثون عن أنباء البلاط
ونتحدّثُ معهم أيضا
مَن اندحرَ ومَنْ انتصر، مَنْ قُرّبَ ومَنْ أُبعد
ونتظاهر أننا نفهم أسرارَ الوجود البشري الغامضة،
كأننا رُسُل الآلهة: وستطول حياتنا
داخل السجن، أكثر من أعمارعلية القوم فئاتٍ وأحزاباً
هؤلاء الذين يصعدون وينحسرون
كالمدّ والجزر اللذيْن يتحكّم بهما القمر
أدموند: خذوهما بعيداً.
لير: الآلهة نفسها يا ابنتي كورديليا
تنثر البخور على تضحيات كهذه،
هل أنت بين يديّ حقاً!
ما من قوّة بشرية بقادرة على الفصل بيننا
إلا إذا جاءت بشعلة من السماء
فنخرج كما تخرج بالنار الثعالب من أوجارها
أمسحي دموعك
ستلتهمهم سبع سنيّ جوع، بالكامل، لحماً وجلداً
قبل أن يجعلونا نبكي
سنراهم يموتون أوّلا
لنذهبْ"

×××

لا بدّ من أن يذهبا.
ولكنْ إلى أين؟

هذا هو شكسبير في معظم الحالات، ما أن يطفح أبطاله بالأمل حتى يصدمهم بأجهم يأس. ما أن يسدروا بحلم ناعم أو وهْم متخدر، حتى يفاجئهم بكابوس مسنون في عز النهار. يقول كنيث ميور (Kenneth Muir – King Lear –p.١٥٣) مثلا عن المشهد الثالث في الفصل الأخير: "هذا المشهد الطويل المزدحم يقود إلى الكارثة النهائية على الرغم من أن نهاية سعيدة كانت متوقعة"

مهما دار القول، لننظرْ قليلاً في النص أعلاه.

تكررتْ أداة الزجر : "لا"، أربع مرات. (يتكرر الرقم ٤ عدة مرات في هذه المسرحية بينما للرقم ٣ دلالات سحرية في مسرحية مكبث). الأداة "لا" وتكرارها بهذه الصورة القاطعة إنْ هي إلا بقايا شعور لير بملوكيته. هذا الموقف الذهني الثابت من ابنتيه يقابله موقف جسديّ ثابت لا يريد له بديلا. في مسرحية لير تقابل عجيب بين الدماغ وما يدور فيه من أعاصير، وبين الطبيعة وتهاويلها الغائلة.

صراع بين العالم الصغير-الإنسان microcosm والعالم الكبير-الكون macrocosm.

أراد لير أن يتجذر في السجن ويتخلى عن العالم المتضاغن.أليست الطيور سعيدة في أقفاصها ؟

النص بكامله يخلو من أية حركة اللهم إلا تلك الحركة الشبيهة بحركة الأغصان في شجرة.

سيبارك ابنته ويطلب منها، وهو راكع، أن تغفر له.

هل هذا الركوع، هو نفس ركوعه أمامها، يوم كانت صغيرة تدرج في المشي؟

كلمات مثل: "نصلّي" و"نروي" كلمات ليلية هنا، أشبه بطقوس ما قبل النوم. و"الحكايات السالفة" ألا توحي بامتلاء العين بالخدر، وبالتالي النوم الهاني؟ ولماذا جاء تشبيه الحاشية بـ : "الفراشات" بهذا التوقيت؟ أليست هي لَهْوَ الأطفال في الحدائق الربيعية؟

حين انتقل الشاعر إلى "الأشقياء المساكين" السجناء إنما انتقل من الحدائق الربيعية، إلى السجن. وفي السجن يكون للشائعات مفعول السينما والتلفزيون. ها هو الملك نفسه، وقد تعب من الحكم متفرج ليس إلا. لا ينتصر ولا يندحر، لا يُقرَّب ولا يُبعَد. متفرّج ليس إلا.

الصولجان الوحيد الذي بيده الآن، هو العصا التي يتوكأ عليها.

في هذا السجن- الصومعة تعمقت الصور الشعرية، كذا يفعل التأمّل، حين أراد لير أن يفهم كنه الوجود البشري. يقول برنارد لوت Bernard Lott :(وهذا الموضوع حيّر لير، وهيمن على المسرحية: "مَنْ ذا الذي يخبرني مَنْ أنا"؟) (الفصل الأوّل – المشهد الرابع).

أكثر من ذلك تحركت الصورة الشعرية بـ "المدّ والجزر"، وارتفعت بالقمر، وتوسعت. السعة الكونية أهم ما يميز مسرحية الملك لير رغم أنّ ثيمتها عائلية محدودة. (أنظر: S.C.Sen Gupta:Aspects of Shakespearian Tragedy-p. ١١٤.

عند هذا التحليق للعقل الباطن يتدخل أدموند الشرّير بجملة صغيرة غير مهادنة : "خذوهما بعيدا" وكأنهما نفايتان. كانا نفايتين بالفعل بالنسبة له. الجمل الرادعة صغيرة دائما كما يبدو.

بيد أن لير لم يرتدعْ ، كان ما يزال في غواية وهم القمر. ليس من الغريب أن تطلع عليه الآلهة إذن ما دام لير لا يزال محلقا في السماء.

من بين تلك الآلهة، ومن ذلك العلو الشاهق يختصر لير المسافة، بينه وبين ابنته كورديليا .يصحو على كينونته الأرضية، فيناديها. يراها لمس اليد فيرى فيها ضحية، ويشمّ بخورا لأنها ضحية مقدسة. من السماء إلى البخور الأرضي مرة واحدة، صحو من نوع ما.

لير، يصحو. يستعيد صحته العقلية، وكورديليا قريبة منه:

"هل أنت بين يديّ حقّاً
ما من قوّة بشرية بقادرة على الفصل بيننا
إلا إذا جاءتْ بشعلة من السماء..."

رأينا في بداية النص كيف كانت كورديليا قلقة على والدها من وطأة السجن، فراحت تهوّن عليه الأمر.

وها هو الآن، في نهاية النصّ يتبادل معها الأدوار، فراح يطمئنها على حتمية موت خصومهما قبلهما. وقال لها: "لنذهبْ" باطمئنان.

لكنْ نفذ أمر الإعدام بكورديليا، فيدخل لير في عالم متقلقل، مترجرج، لا يئين فيه أوان. وحتى إن أنتَ أشفقتَ عليه فلا تتمن له إلا موتا رحيما شافيا، أو كما قال المتنبي: "كفى بك داءً أن ترى الموتَ شافيا" .

للنصّ أعلاه، بالإضافة إلى صناعته الأدبية، بعد ديني متواتر. لا عجب. في هذه المرحلة عاد لير طفلا يتشبث بابنته كورديليا كما يتشبث طفل بدميته وزيادة. رجعت عواطفه إلى بدائيتها فوجد في الدين ملاذاً. في النص أعلاه ، وهو قصير، التجأ ، لير إلى أكثر من خمسة عشر اقتباسا من الإنجيل. من ذلك مثلا انه حينما قال: "ونصلّي" و"نغنّي" إنما كان يشير إلى أفاسُس٥- ١٩ : "حدثوا بعضكم بعضا بالمزامير والتسابيح والأغاني التي في الروح. غنوا وأنشدوا لربنا في قلبكم" .

وحين يقول : "أسرار الوجود الغامضة" إنما يشير إلى أفاسُس ٣-٩ : "وأوضح للناس معنى السرّ فإنّ الله خالق كل الأشياء، أبقاه مكتوما في كل العصور الماضية"... (للاستزادة من هذه الاقتباسات وكل الاقتباسات الدينية الأخرى في المسرحية، يستحسن الرجوع إلى كتاب:

Biblical Influences in Shakespeare`s Great Tragedies-By Peter Milward.

×××

لكنْ كيف تُرْجم النصّ أعلاه إلى العربية؟
(سنفرد مقالةً خاصة بترجمة الملك لير إلى العربية).

المقامة الواسطية واحتفالية المسرح

ملاحظات ليست نقدية

أ.د.يوسف رشيد

تمتد ما بين المقامة بوصفها فنا أدبيا وبين الاحتفالية والمسرح الملحمي خطوط في الالتقاء لأنها تشترك جميعا بخيوط التواصلية في عرضها وبصياغات قد يختلف بعضها عن البعض، إلا أن عنصر التشاركية مع المتلقي يظل الوشيجة الأساس على المستوى العلائقي ووضع القيمة التراثية والشعبية واشتغال الموروث الذي هو في صدارة الموصفات الفكرية لكل منها.

وبعد أن تطور فن المسرح الذي سبق له أن تعامل مع كل فن من هذه الفنون على حدة بات في الوقت الحاضر يسعى إلى استنفار الكوامن الإبداعية التي تنطوي عليها هذه الفنون وإعادة إنتاجها في شكل فني جديد وذلك ما عمد إليه (عقيل مهدي) مؤلفا و (زهير كاظم) مخرجا من خلال مسرحيتهما الأخيرة (المقامة الواسطية) في عرض مسرحي اتسم بالخفة والجمال مستعيرا للفكرة من موروث مقامات (الحريري) وعلى لسان شخصية (أبو زيد السروجي) ومن الاحتفالية التي كان أول من نظر لها الباحث والكاتب المغربي (عبد الكريم برشيد) ونسج على منوالها إخراجا (الطيب الصديقي) من المغرب و (قاسم محمد) من العراق وصولا إلى المخرج (زهير كاظم) في تجارب احتفالية سابقة عديدة كان آخرها هذا العرض ـــ المقامة الواسطية – والذي ظلت الاحتفالية العربية تشكل هاجسا إبداعيا لا ينفك عن التفكير فيه والاشتغال عليه لاهتمامه بالموروث العربي للمسرح وما في هذا النمط من تشاركيه في الفعل وفضاءات للنقد اللاذع وفي أجواء من الشعر والأغاني والألحان عبر مساحة من الإبداع التمثيلي وجمال الحركات والتكوينات .

لقد كانت البدايات الأولى للمخرج (زهير كاظم) منذ ثمانينات القرن الماضي حينما قدم أول عرض احتفالي له تأليفا وإخراجا وهي مسرحية (حدث ولن يحدث) ، ثم اجتهد بعد ذلك في تقديم نموذج للمسرح الاحتفالي تأليفا وإخراجا في مهرجان المسرح العربي الثاني وهي مسرحية (طواف أبي عثمان حول الأمس والآن) والتي عقب عليها آنذاك (عبد الكريم برشيد) في الجلسة النقدية المخصصة لها بقوله : هذه المسرحية (تجربة جديدة تستمد جدتها من انحيازها المطلق للوجدان العربي ، ومن اختيارها للذات .... الذات المحملة بكل محمولاتها الفكرية والطقوسية والعقلانية المختلفة ، هذه الأرضية كانت نوعا من التجريب التأسيسي ، أي التجريب الذي يحاول أن يعطي المسرح العربي أصولا جمالية جديدة).

ولعل بنية النص الذي كتبه هذه المرة (عقيل مهدي) بطريقته التي تنتمي إلى الأسلوب النقدي (لتشخوف) أحيانا (ولبرشت) أحيانا أخرى رأى في الشكل الذي اسماه بالمقامة قد هيأ للمخرج (زهير كاظم) إمكانية استنفار جميع الوسائل المتاحة إخراجيا للاشتغال على منطقتي التراث والمعاصرة في آن معا ، جامعا بين خصائص المقامة والشكل الاحتفالي باستدعاء قصدي لبطل مقامات الحريري (أبو زيد السروجي) وإقحام راو معاصر على طريقة (برشت) ليُفعل من خلاله قصدية العرض في التصدي لذلك التداخل بين اليومي والهم الجمعي الذي شكل بؤرة المهيمنات الفكرية التي تمحور حولها العرض المسرحي ، مع اجتهاد ومخاتلة فكرية في مسرحة هموم الوطن قدر الإمكان من خلال توظيف خامات أدائية طالما عملت معه في عروض سابقة ، وجلهم من تلامذته ، ولذلك كانت تلك الخامات فاعلة بما يتناسب وطبيعة مهماتها في العرض من رقص وغناء وعزف موسيقى وإحساس راق في أداء الشخصيات وتناغم مثير في أفعالها وحركاتها المتجانسة والمكملة مع حركات وتكوينات المجاميع المسرحية التي شكلت بحق شخصية محورية وأساسية في العرض بالإضافة إلى المؤدين الرئيسيين (جاسم محمد وأحمد عوني وزياد الهلالي ونوال أحمد) وجميعهم نشهد لهم بعمق وتعدد المواهب والقابليات .

لقد توافر النص الذي استضاف (أبو زيد السروجي) في المقامة الواسطية التي اجترحها المؤلف لتكون شكلا مميزا لمقامة هي غير المألوفة في اشتغالها على استبدال الحاضر اليومي بالتراثي مستفيدا من الحكايات التي توافر عليها النص الذي كان فيه إمكانية أكبر على الاستعارة من الموروث بما يتفق والمعالجات للواقع الآن .

فالعرض يبدأ من سياق المقامة البنائي كنص أدبي حيث الراوي يلعب دورا كبيرا في بيان الصورة الحقيقية للبطل وما يتسم به من سمات تتجاوز المألوف ، فالبطل فعلا هو ليس شخصية واقعية بقدر ما هي تعبير عن معظم الناس الذين هم على شاكلتها ، كما أن هناك تقاربا بين فعل الراوي في هذه المقامة مع وظيفته في المسرح الملحمي ، إلا انه هنا يساهم على وفق ما ورد في المقامة بتطور الأحداث فضلا عن روايتها .

وقد استضاف العرض أكثر من عشرة ممثلين شكل المخرج من خلالهم المجاميع التي أسهمت في تجسيد الأفعال وكأنما هم الجمهور الذي ينبغي أن يوجد ضمنا داخل النص مضافا إليه ما تميز به العرض في هذا الشأن من إشراك للجمهور على الطريقة الملحمية رغم انه عدهم شعب واسط في المقامة المعروضة .

وعليه فقد أظهر المخرج حرفية أكاديمية في تمكنه من المسرح الاحتفالي من ناحية ومن المسرح الملحمي من الناحية الأخرى حيث اشتغل على منطقة الإيحاء الإيمائي (الجست) في أكثر من مشهد كما عمد إلى الدفع على إعمال الفكر وتوظيف منهجية الاشتغال على مسرح (برشت) ، وقد حاول المخرج فعلا وبجدية أن يؤشر حضوراً على مستوى قيادة المجاميع وتوظيف تشكيلاتهم في (ميزانسينات) إخراجية خدمة للفكرة في أكثر من موقع من مواقع العرض رغم الفقر الواضح في وسائل وعناصر الإنتاج وبساطة الأزياء والغياب الكلي للجهد السينوغرافي في توفير الإضاءة والجو الذي يتلاءم وطبيعة العرض الاحتفالي .

ورغم ذلك فان ما تجدر الإشارة إليه ان العرض فعلا كان ممتعا جدا للحضور إذ شكل تحديا حقيقيا لكل الظروف التي أحاطت به ، لغرض إيصال فكرة النص ومنهجية الإخراج وفي إبراز هذه الطاقات الأدائية الشابة التي أفرزها العرض دون استثناء بدءاً من الشخصيات الأربع الرئيسية إلى جميع أفراد المجموعة التي كانت بطلا للعرض والتي شكلت اكتشافا مهما يوجب تسليط الضوء على الطاقات الشابة الواعدة .